

الدرس الرابع :

نظرية أفعال الكلام عند سيرل:

إن الدارس لمجهودات اللساني سيرل تلميذ أوستين يلمس تلك القفزة المنهجية في تحليل نظرية أفعال الكلام، على الرغم من أن البحوث تجمع -بخاصة فيما يتعلق بأفعال الكلام- على التشابه الملحوظ بين الطرح الذي قدمه أوستين، و الذي اقترحه سيرل في العديد من المسائل اللغوية، و الفلسفية، فإذا كان أوستين يعتمد على القوة الانجازية كمبدأ أساس، فإن سيرل يذهب إلى أن كل ملفوظ يشتغل، كفعل الأمر، و الوعيد، و الاستفهام، و الترغيب، و الترجي...و أن المكون الأساسي في كل ذلك هو القوة الانجازية، فنحن عندما نتلفظ بأي لفظ كان تتحدد أربعة أفعال نوجزها في :

- الفعل التعبيري

-الفعل القضوي:بفضل الإحالة إلى المرجع.

-الفعل الغرضي:طريقة استعمال التعبير.

-الفعل التأثيري:وهو تشخيص نتائج تأثير الأفعال الانجازية¹.

وقد نتج عن هذا التفرع للفعل الكلامي، أفعال كلامية مباشرة، و أفعال كلامية غير مباشرة، (2)-لذلك أجمع الدارسون على أن نظرية أفعال الكلام عند سيرل يمكن أن تتفرع إلى خمسة أفعال كلامية تقوم على:

-إثباتيات (Les Assertives)

- و عديات (Les Commisives)

- توجيهيات (Les Directives)

- تعبيريات (Les Expressives)

- إعلانيات (Les Declaratives)

أما عن الأفعال الكلامية غير المباشرة فيمكن تلخيصها فيما ذكره عبد الهادي بن ظافر الشهري " على أنها: "إستراتيجية لغوية تلميحية يعبر عنها المتكلم عن القصد بما يغير

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص:99
(2) علي محمود حجي الصراف في البراجماتية، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط1)، 2008، ص:98

معنى الخطاب الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عند اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق³.

والخلاصة مما سبق يمكن القول أن التلفظ بالكلام هو في حقيقته إنجاز كلامي يستند على نظام دلالي تأثيري مستلزما سياقيا يقوم على توجيه المعنى، والتأثير في المتلقين، سواء أكان ذلك عن طريق أفعال مباشرة، أم غير مباشرة، ولقد حاولت الباحثة حورية زلاقي أن تلخص جهود سيرل عندما تعرضت لنظرية أفعال الكلام عند سيرل إلى أنه اقترح نظاما أقرب لطبيعة التحليل اللساني، أجملته فيما يلي :

-تعديل التقسيم الذي وضعه أوستين لنظرية أفعال الكلام حيث جعله سيرل أربعة أقسام عوض ثلاثة، فعلى الرغم من التشابه الكبير بين الطرحين، حيث أبقى سيرل على الفعل الانجازي، والتأثيري، ثم قسم الفعل الانجازي بدوره إلى قسمين:

الفعل النطقي: ويشمل الجوانب الصوتية، والتركيبية، والدلالية المعجمية.

أما القسم الثاني: الفعل القضوي الذي له علاقة بالمتحدث عنه، والمتحدث به، أي (الخبر).

أما عن الفعل القضوي فإنه لا يقع وحده بل هو مقترن مع فعل إنجازي في إطار كلامي، مع العلم أنه لا نستطيع النطق بأي فعل قضوي بدون مقصد من الخبر، وكذا فإن الفعل الانجازي هو الوحدة الصغرى التي يتم بها الاتصال و حتى يتضح ذلك نضرب المثال الآتي:

1- اتجه محمد نحو المدينة

2- يا محمد اتجه نحو المدينة

3- أيتجه محمد نحو المدينة؟

4- لو يتجه محمد نحو المدينة

فعندما يتلفظ المتكلم بجملته من الجمل، فإن المنجز ينشئ ثلاثة أنواع من الأفعال في آن واحد.

-أولا: الفعل النطقي: و نعني به المادة الصوتية للألفاظ على مستوى النحو، والدلالة المعجمية.

-ثانيا: الفعل القضوي: و نعني به محور الحديث في كل التراكيب اللغوية، و المعني هو محمد، و الإخبار فيهما بالتوجه نحو المدينة، أما القضية فهي المحتوى الذي تشترك فيه كل الجمل.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 370

-ثالثا: الفعل الانجازي: و نعني به الدلالات المستنبطة من كل تركيب، ففي التركيب الأول يحمل معنى الإخبار، و في الثانية يحمل معنى النداء، و في الثالثة معنى الاستفهام، و في الرابعة معنى التمني، و الرجاء.

و الملاحظ أن سيرل قد وجه اهتمامه كثيرا للفعل التأثيري، لأنه يرى أنه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في المتلقي يدفعه بالضرورة لانجاز فعل ما.⁴ ويمكن تحديد مواطن الجودة في أعمال سيرل معلقا على أستاذه أوستن الذي وضع شروط الملاءمة أو الاستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا وهي تقوم على أسس هامة هي:

المحتوى القضوي، و هو معنى القضية، و يتحقق في الوعد حيث يلزم المتحدث نفسه به. الشرط التمهيدي، ويتمثل في قدرة المخاطب على إنجاز فعل، و يقين المتكلم من ذلك، مع العلم أن الفعل سينجز أو، لا ينجز، و الإخلاص ويتمثل في قبول المتكلم إنجاز الفعل من المتلقي، و الشرط الأساس الذي يمكن تحقيقه إذا كان تأثير المتكلم في السامع قويا.

لقد أضاف سيرل بعض الأبعاد التي نراها مهمة في نظرية أفعال الكلام نوجزها في إمكانية اختلاف الغرض الانجازي للفعل، و الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم، و اختلاف منازل المتكلمين، و المتلقين، و الاختلاف في العلاقة بين كل عناصر الخطاب، و مختلف السياقات التي يقع فيها الفعل، و الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للاداء.⁵

و الخلاصة أن سيرل أعاد النظر في تصنيف أستاذه للأفعال الانجازية حين وقف على أوجه الضعف في أنها لم تقم على أسس صحيحة يمكن الاعتماد عليها دائما، فقدم تصورا آخر للأفعال الانجازية تقوم على، العرض الانجازي، و اتجاه المطابقة، و شرط الإخلاص، كما نشير إلى أن أوستن قد فرق بين الأفعال اللفظية و الأفعال الانجازية إلا أن سيرل بين، و ميز الأفعال الانجازية المباشرة، و غير المباشرة، و راح يحدد دلالة الأفعال المباشرة في أنها تضل ملازمة لها في مختلف الظروف، و السياقات المقامية، أما غير المباشرة فإنه لا يتوصل إليها عبر عمليات ذهنية ففي قولك مثلا: هل تسافر معي غدا؟ فقد تلغي القوة الانجازية غير المباشرة الطلب، و يقتصر الحدث على قوته الانجازية المباشرة، و هو الاستفهام، كما أشار سيرل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة التي ترتبط بما اصطلح عليه الاستلزام الحوارية التي تعد من المباحث الأساسية في الدرس اللساني التداولي، و سنحاول أن نلخص أهم نقاط هذا المبحث، و نجمل القول فيه من خلال الإطلاع

(- دروس في اللسانيات التداولية، حورية زلاقي، مخطوط، كلية آداب و اللغات، المسيلة، 2018 أفعال الكلام، ص 24)
(- للتوسع أكثر يراجع، دروس في اللسانيات التداولية، حورية زلاقي.⁵)

على ما كتبه أهل الاختصاص في هذا، محاولين تبسيط الأفكار قدر الاستطاعة حتى تتضح المفاهيم لدى الطلاب .

نظرية الاستلزام الحوارية:

وقد اصطلح على هذا المبحث بنظرية المحاوراة، و التعاون اللغوي، و قد أشار إلى هذا المبدأ الباحث اللساني غرايس Cooperative Principes، ويمثل هذا المبدأ نقطة ضمان نجاح العملية التواصلية يحاول كل من المتكلم، و المخاطب تبليغ الرسالة، أي إنجاز فعل، و ضمان تحقيقه.

لقد أجمع أنصار هذا المحور اللساني الهام على أن التعاون يقوم على مجموعة من نقاط أجملها الباحث صحراوي من خلال تحليله لنظرية غرايس⁶ إلى مسلمة القدر Quantité وتقوم على أهمية المبادرة التي تضمن نجاح التعاون، و مسلمة الكيف Qualité و مسلمة الملاءمة Pèrtinence و هو أن يناسب المقام المقال⁷، أما مسلمة الجهة Modalité فمفادها وضوح الكلام، و تجنب الالتباس ، و التلخيص، و محاولة الإيجاز، و ترتيب محتوى الرسالة، من هنا وحتى تضمن نجاح العملية التواصلية من منظور غرايس⁸، لا بد من تحقيق التجانس بين المتكلم من جهة و المتلقي من جهة أخرى و العكس أيضا أي بين المخاطب من جهة و المتكلم من جهة ثانية.

أما عن الملاءمة Pèrtinence فقد كان للباحثة البريطانية سوزان ويلسون Dcide Susanwilson الدور الفعال في تنظير هذا المصطلح حيث استثمرت مجال علم النفس المعرفي، و نظرية فودور⁹، و فلسفة اللغة، و كذا اجتهادات صادق^(Sadok)، هارنيس^(Harnish) اللذين لخصا مبادئ غرايس ، و صححا بعض المفاهيم، و سدّا الثغرات على مستوى التطبيق، فجمعا بين محوري الكم، و الكيف، لضمان نجاح عملية المحادثة.

ونشير في هذا المقام إلى جهود كل من جاك موشلر Jaque Moshler و أنا ربول Ana Raboul في كتابيهما الموسوم قاموس الموسوعة التداولية¹⁰، حيث يلمس القارئ الدقة في تحديد مفاهيم الدرس التداولي، و كيفية وصول الخطاب، و الرسالة، فقد نجح الباحثان في تفسير مداخل ضرورية في نظرية الاستلزام الحوارية هذا المفهوم الذي يقوم على مجموعة من التصورات تستند على المدخل المنطقي حيث يلتقي المفهوم الأساس بالمفاهيم الأخرى، منها

(10) مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص:46

(11) طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط1)، 1998، ص:238

(12) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2005، ص:73

(13) مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص:36

(14) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر – أن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة و الباحثين من الجامعات التونسية، إشراف / عز الدين المجذوب، مراجعة خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010

مثلا المستوى الصوتي و التركيبي ، و المدخل الموسوعي، و المعجمي لضمان الخطاب التواصلي.

وبناء على تلك المفاهيم المعرفية التي ترتبط بالدرس اللغوي، و المباحث النفسية، و المعرفية ، و من خلال المعلومات التي يملكها المتكلم، و المخاطبين أثناء العملية التبليغية يتم اختيار أهم المناسبات السياقية التي تضمن نجاح الخطاب. لذلك يمكن القول: إن نظرية الملازمة عنصر ضروري، و هام في العملية التواصلية عكس ما أشار إليه غرايس على أنه يتحتم على المتكلم احترامها ، أو هي متغير تتحدد أهميته وفق السياق الوارد .

للتوسع، ينظر المراجع الآتية:

1- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة و-الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ط5، 2005

2-- خديجة بوخشة: محاضرات في اللسانيات التداولية الفصل الخاص بأفعال الكلام

3- عيسى بربار الموسومة الأبعاد التداولية في العملية التواصلية دكتوراه محطوط، 2017

4-. على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ط1-1421هـ.2000/

5- اللسانيات والمنطق ، حوار مع د/طه عبد الرحمن ، دراسات سيميائية لسانية أدبية ، العدد الثاني ، المغرب - 1988 .

6- نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة ، محمد أديوان ، جامعة الرباط ، كلية الآداب

مجلة ، (تداولية - لسانية مقارنة) الإبداع لمنظومة المعرفي الأساس ، الحناش محمد- اللساني التواصل

7- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر 2007.